

معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل

التعبير عن تلقي رسول الله ﷺ للقرآن بنزوله عليه يُشعر بقوة يلمسها المرء في تصور كل هبوط من أعلى . ذلك لعلو منزلة القرآن وعظمة تعاليمه التي حولت مجرى حياة البشرية وأحدثت فيها تغييراً ربط السماء بالأرض ، ووصل الدنيا بالآخرة ، ومعرفة تاريخ التشريع الإسلامى فى مصدره الأول والأصيل - وهو القرآن- تعطى الدارس صورة عن التدرج فى الأحكام ومناسبة كل حكم للحالة التى نزل فيها دون تعارض بين السابق واللاحق . وقد تناول هذا أول ما نزل من القرآن على الإطلاق وآخر ما نزل على الإطلاق ، كما تناول أول ما نزل وآخر ما نزل فى كل تشريع من تعاليم الإسلام ، كالأطعمة ، والأشربة ، والقتال . . . ونحو ذلك .

وللعلماء فى أول ما نزل من القرآن على الإطلاق ، وآخر ما نزل كذلك أقوال ، نجملها ونرجح بينها فيما يأتى :

● أول ما نزل :

١ - أصح الأقوال أن أول ما نزل هو قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (١) . . . ويدل عليه ما رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت : « أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضى الله عنها فتزوّد له مثلها حتى فاجأه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ ، قال رسول الله ﷺ : فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطّنى حتى بلغ منى

(١) العلق : ١ - ٥

الجهْد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فغطّنى الثانية حتى بلغ منى الجهْد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فغطّنى الثالثة حتى بلغ منى الجهْد ثم أرسلنى ، فقال : ﴿ اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ . . . حتى بلغ : ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره « . . الحديث (١) .

٢ - وقيل إن أول ما نزل هو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ . . لما رواه الشيخان عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت جابر بن عبد الله ، أى القرآن أنزل قبل ؟ قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، قلت : أو ﴿ اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ؟ قال : أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ : « إنى جاوزت بحراء فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى ، فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وشمالى ، ثم نظرت إلى السماء ، فإذا هو - يعنى جبريل - فأخذتنى رجفة ، فأتيت خديجة فأمرتهم فدثرونى ، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ (٢) .

وأجيب عن حديث جابر بأن السؤال كان عن نزول سورة كاملة ، فبين جابر أن سورة المدثر نزلت بكمالها قبل نزول تمام سورة اقرأ ، فإن أول ما نزل منها صدرها ، ويؤيد هذا ما فى الصحيحين أيضاً عن أبى سلمة عن جابر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يُحدِّث عن فترة الوحي فقال فى حديثه : « بينا أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض ، فرجعت ، فقلت : زملونى ، فدثرونى ، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ . . فهذا الحديث يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء - أو تكون « المدثر » أول سورة نزلت بعد فترة الوحي - وقد استخرج جابر ذلك باجتهاده فتقدّم عليه رواية عائشة ، ويكون أول ما نزل من القرآن على الإطلاق :

(١) التحنث : التعبد ، وأصله ترك الحنث ، أى الذنب ، وغطّنى : أى ضمنى ضمّاً شديداً ، حتى كان لى غطيظ ، وهو صوت من حُسيت أنفاسه بما يشبه الحنق ، والجهْد : - بفتح الجيم - يُطلق على المشقة وعلى الوسع والطاقة - وبضمها : يُطلق على الوسع والطاقة لا غيره .

(٢) المدثر : ١ - ٢

﴿أَقْرَأُ﴾ وأول سورة نزلت كاملة ، أو أول ما نزل بعد فترّة الوحي : ﴿يَا أَيُّهَا
الْمُدَّثِّرُ﴾ . . أو أول ما نزل للرسالة : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ . . وللنبوة ﴿أَقْرَأُ﴾ .

٣ - وقيل إن أول ما نزل هو سورة « الفاتحة » ولعل المراد أول سورة كاملة .

٤ - وقيل : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ والبسملة تنزل صدراً لكل سورة ،
ودليل هذين أحاديث مرسلة ، والقول الأول المؤيد بحديث عائشة هو القول الراجح
المشهور .

وقد ذكر الزركشى فى « البرهان » حديث عائشة الذى نص على أن أول ما نزل :

﴿أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ وحديث جابر الذى نص على أن أول ما نزل :

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ، ثم قال : « وجمع بعضهم بينهما بأن جابراً سمع

النبي ﷺ يذكر قصة بدء الوحي ، فسمع آخرها ، ولم يسمع أولها ، فتوهم أنها

أول ما نزلت ، وليس كذلك ، نعم هى أول ما نزل بعد سورة ﴿أَقْرَأُ﴾ وفترّة

الوحي ، لما ثبت فى الصحيحين أيضاً عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ

كان يُحَدِّثُ عن فترّة الوحي ، قال فى حديثه : « بينما أنا أمشى ، سمعتُ صوتاً

من السماء ، فرفعتُ رأسى ، فإذا المَلَكُ الذى جاءنى بحِراءِ جالس على كرسى بين

السماء والأرض ، فجلستُ منه فرقاً^(١) ، فرجعت فقلت : زملونى زملونى ، فأُنزل

الله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ .

فقد أخبر فى هذا الحديث عن المَلَكِ الذى جاءه بحِراءِ قبل هذه المرة ، وأخبر فى

حديث عائشة أن نزول ﴿أَقْرَأُ﴾ كان فى غار حِراءِ ، وهو أول وحي ، ثم فترّة بعد

ذلك ، وأخبر فى حديث جابر أن الوحي تتابع بعد نزول : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فبعد

بذلك أن ﴿أَقْرَأُ﴾ أول ما نزل مطلقاً ، وأن سورة المدثر بعده « ، وكذلك

ابن حبان فى صحيحه : لا تضاد بين الحديثين ، بل أول ما نزل : ﴿أَقْرَأُ بِاسْمِ

رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ بغار حِراءِ ، فلما رجع إلى خديجة رضى الله عنها وصبت لها

(١) جلست : فرغت . وفى « صحيح البخارى » : (فرغت منه) .

الماء البارد ، أنزل الله عليه فى بيت خديجة : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .. فظهر أنه لما نزل عليه ﴿ اقْرَأْ ﴾ رجع فتدثر ، فأنزل عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ..

وقيل : أول ما نزل سورة الفاتحة : رُوِيَ ذلك من طريق أبى إسحاق عن أبى مسيرة قال : كان رسول الله ﷺ إذا سمع الصوت انطلق هارباً ، وذكر نزول الملك عليه وقوله : قل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ... إلى آخرها .

وقال القاضى أبو بكر فى « الانتصار » : وهذا الخبر منقطع ، وأثبت الأقاويل : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ويليه فى القوة : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .. وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ وأول ما نزل من أوامر التبليغ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .. وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة ، وهذا كما ورد فى الحديث : « أول ما يُحاسب به العبد الصلاة » (١) ، و « أول ما يُقضى فيه الدماء » (٢) ، وجمع بينهما بأن أول ما يُحكم فيه من المظالم التى بين العباد والدماء . وأول ما يُحاسب به العبد من الفرائض البدنية الصلاة .

وقيل : أول ما نزل للرسالة : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .. وللنبوة : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ فإن العلماء قالوا : قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ دال على نبوة محمد ﷺ ، لأن النبوة عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف خاص ، وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ * قُمْ فَأَنْذِرْ * دليل على رسالته ﷺ ، لأنها عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف عام » (٣) .

● آخر ما نزل :

١ - قيل : آخر ما نزل آية الربا ، لما أخرجه البخارى عن ابن عباس قال :

(١) نقله السيوطى فى « الجامع الصغير » عن الطبرانى ، ولفظه : « أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح له سائر عمله ، وإن فسدت فسدت سائر عمله » .

(٢) رواه البخارى فى كتاب « الديات » ، ولفظه : « أول ما يُقضى بين الناس فى الدماء » .

(٣) انظر : « البرهان فى علوم القرآن » للزركشى ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

(٢٠٦/١) وما بعدها .

« آخر آية نزلت آية الربا » والمراد بها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ (١) .

٢ - وقيل : آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ... ﴾ (٢) . . . والآية ، لما رواه النسائي وغيره عن ابن عباس وسعيد بن جبير : « آخر شيء نزل من القرآن : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ . . . الآية .

٣ - وقيل : آخر ما نزل آية الدين ، لما روى عن سعيد بن المسيب : « أنه بلغه أن أحدث القرآن عهداً بالعرش آية الدين » والمراد بها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَاكْتُبُوهُ ﴾ (٣) . . . الآية .

ويجمع بين الروايات الثلاث بأن هذه الآيات نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ، آية الربا ، آية الدين : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا ﴾ ، لأنها في قصة واحدة ، فأخبر كل راوٍ عن بعض ما نزل بأنه آخر ، وذلك صحيح ، وبهذا لا يقع التنافر بينها .

٤ - وقيل : آخر ما نزل آية الكفالة ، فقد روى الشيخان عن البراء بن عازب قال : آخر آية نزلت : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكِفَالَةِ ﴾ (٤) . . . الآية ، وحملت الآخرة هنا في قول البراء على أنها مقيدة بما يتعلق بالمواريث .

٥ - وقيل : آخر ما نزل قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ (٥) . . . إلى آخر السورة ، ففي المستدرک عن أبي بن كعب قال : آخر آية نزلت : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ . . . إلى آخر السورة ، وحمل هذا على أنها آخر ما نزل من سورة « براءة » .

ففيما رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند عن أبي بن كعب أن رسول

(٣) البقرة : ٢٨٢

(٢) البقرة : ٢٨١

(١) البقرة : ٢٧٨

(٥) التوبة : ١٢٨

(٤) النساء : ١٧٦

الله ﷺ أقرأه هاتين الآيتين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ . . . إلى قوله :
﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ في آخر سورة براءة .

٦ - وقيل : آخر ما نزل سورة المائدة ، لما رواه الترمذى والحاكم فى ذلك عن عائشة رضى الله عنها ، وأجيب بأن المراد أنها آخر سورة نزلت فى الحلال والحرام ، فلم تُنسخ فيها أحكام .

٧ - وقيل : آخر ما نزل قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ (١) . . لما أخرجه ابن مردويه من طريق مجاهد عن أم سلمة أنها قالت : « آخر آية نزلت هذه الآية : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ ﴾ . . . إلى آخرها ، وذلك أنها قالت : يا رسول الله . . أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء ، فنزلت : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (٢) ، ونزلت : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ (٣) ، ونزلت هذه الآية ، فهى آخر الثلاثة نزولاً ، وآخر ما نزل بعد ما كان ينزل فى الرجال خاصة » .

ويتضح من الرواية أن الآية المذكورة آخر الآيات الثلاثة نزولاً ، وأنها آخر ما نزل بالنسبة إلى ما ذُكر فيه النساء .

٨ - وقيل : آخر ما نزل آية : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٤) . . لما أخرجه البخارى وغيره عن ابن عباس قال : هذه الآية : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ هى آخر ما نزل وما نسخها شىء . والتعبير بقوله : « وما نسخها شىء » يدل على أنها آخر ما نزل فى حكم قتل المؤمن عمداً .

٩ - وأخرج مسلم عن ابن عباس قال : « آخر سورة نزلت : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (٥) ، وحمل ذلك على أن هذه السورة آخر ما نزل مُشْعِراً بوفاة النبى ﷺ كما فهم بعض الصحابة ، أو أنها آخر ما نزل من السور .

(٣) الأحزاب : ٣٥

(٢) النساء : ٣٢

(١) آل عمران : ١٩٥

(٥) أى سورة النصر .

(٤) النساء : ٩٣

وهذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ . وكل قال بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن ، ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من الرسول ، أو قال ذلك باعتبار آخر ما نزل في تشريع خاص ، أو آخر سورة نزلت كاملة على النحو الذي خرّجنا به كل قول منها .

أما قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع ، ويدل ظاهرها على إكمال الفرائض والأحكام ، وقد سبقت الإشارة إلى ما روي في نزول آية الربا ، وآية الدين ، وآية الكلاله ، وغيرها بعد ذلك ، لذا حمل كثير من العلماء إكمال الدين في هذه الآية على أن الله أتم عليهم نعمته بتمكينهم من البلد الحرام ، وإجلاء المشركين عنه ، وحجهم وحدهم دون أن يشاركهم في البيت الحرام أحد من المشركين ، وقد كان المشركون يحجون معهم من قبل وذلك من تمام النعمة : ﴿ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ قال القاضي أبو بكر الباقلاني في « الانتصار » معلقاً على اختلاف الروايات في آخر ما نزل : « هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن ، ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل ، وغيره سمع منه بعد ذلك وإن لم يسمعه هو ، ويحتمل أيضاً أن تنزل هذه الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك ، فيظن أنه آخر ما نزل في الترتيب » (٢) .

* * *

● أوائل موضوعية :

وتناول العلماء أوائل ما نزل بالنسبة إلى موضوعات خاصة ، ومن ذلك :

(١) المائة : ٣

(٢) انظر « الإتيان » (٢٧ / ١) ، ونص العبارة الأخيرة في الزركشي : « فيؤمر برسم ما نزل معها وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخرًا وتلاوته ، فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل في الترتيب » انظر « البرهان » (٢١٠ / ١) ، وفي نقل « الإتيان » شيء من التحريف .

١ - أول ما نزل في الأطعمة : أول آية نزلت بمكة آية الأنعام : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْنًا أَهُلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) ..

ثم آية النحل : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) ..

ثم آية البقرة : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) ..

ثم آية المائدة : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَلِكَ فِسْقٌ ، الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ ، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ، فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤) ..

٢ - أول ما نزل في الأشربة : أول آية نزلت في الخمر آية البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ، قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ (٥) ..

(٣) البقرة : ١٧٣

(٢) النحل : ١١٤ - ١١٥

(١) الأنعام : ١٤٥

(٥) البقرة : ٢١٩

(٤) المائدة : ٣

ثم آية النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (١) . .

ثم آية المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٢) .

عن ابن عمر قال : « نزل في الخمر ثلاث آيات ، فأول شيء : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ . . . الآية ، فقيل : حُرِّمَتِ الْخَمْرُ ، فقالوا : يا رسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله ، فسكت عنهم ، ثم نزلت هذه الآية : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ فقيل : حُرِّمَتِ الْخَمْرُ ، فقالوا : يا رسول الله . . ألا نشربها قرب الصلاة ، فسكت عنهم ، ثم نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ فقال رسول الله ﷺ : حُرِّمَتِ الْخَمْرُ » (٣) .

٣ - أول ما نزل في القتال : عن ابن عباس قال : أول آية نزلت في القتال : ﴿ أَدِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٤) .

* * *

● فوائد هذا المبحث :

ولمعرفة أول ما نزل وآخر ما نزل فوائدها أهمها :

(أ) بيان العناية التي حظى بها القرآن الكريم صيانة له وضبطاً لآياته : فقد وعى الصحابة هذا الكتاب آية آية ، فعرفوا متى نزلت ؟ وأين نزلت ؟ حيث كانوا يتلقون عن رسول الله ﷺ ما ينزل عليه من القرآن تلقى المؤمنين لأصول دينهم ، ومبعث

(١) النساء : ٤٣ (٢) المائدة : ٩٠ - ٩١ (٣) رواه الطيالسي في مسنده .

(٤) رواه الحاكم في « المستدرک » - (والآية من سورة الحج : ٣٩) .

إيمانهم ، ومصدر عزهم ومجدهم ، وكان من أثر ذلك سلامة القرآن من التغيير والتبديل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

(ب) إدراك أسرار التشريع الإسلامى فى تاريخ مصدره الأصيل : فإن آيات القرآن الكريم عاجلت النفس البشرية بهداية السماء ، وأخذت الناس بالأساليب الحكيمة التى ترقى بنفوسهم فى سلم الكمال ، وتدرجت بهم فى الأحكام التى يستقيم بها منهج حياتهم على الحق ، وتنظم شئون مجتمعهم على الطريق الأقوم .

(ج) تمييز الناسخ من المنسوخ : فقد ترد الآياتان أو الآيات فى موضع واحد ، ويختلف الحكم فى إحداها عن الأخرى ، فإذا عُرِفَ ما نزل أولاً وما نزل آخرًا كان حكم ما نزل آخرًا ناسخًا لحكم ما نزل أولاً .

* * *